محمد محمد الأشعري

مُعاناة الأميرة الأطلسية

ليست عشيقتي الآن غجريه تتعلق بظلها الوتري
ليست هاربة من عسس الليل
انها أطلسية تهرّب ضفيرتها من عدسات الاغراب
« صعدت الجبل
أتجول
ما زال يسكنني حب من طاف بين الجبال »
قلت يا سيدتي
من أضرم نار الكبرياء بهاتين العينين العلامتين
من نمّق شموخ الانف
أنت شعلة تتسلقين مسام القبيلة
تلاحقك خيوط الماء
ان وراءك مشهدا لذبيحة متضرجة
دعي عينيك المزهرتين تتحدان مع اشتعال الافق
تصفدي شبقا
فالاشجار تتناسل تحت أهدابك
والشمس عنقود ينام في كفك
جميلة أنت سيدتي
جميلة حتى الرضوض الصغيرة بأسفل قدميك
شهية آه لو يتوقف الزحف الوحشي على ضفيرتك

* * *

بي رغبة أن احفظ وشمك العاري
ابدا من اين ؟
ان الحصان الجامح يسكن خدك
وانت تقولين :
من يسرج الحصان
من يتمنطق بالسيف والرمح
يملأ الغابة بالصهيل
دلك فارسي المقتول
لكنني أموت من وجدي
تخترفني سهام أنت وحدك الي تعرفين من أين تجيء
ووشمك ملحمة لن أستسيغ السكوت عنها
عميقه أخاديد الجرح في ساقي
متشققة غضارف حنجرتي من الظمأ
والغابة مشرعة الابواب للحريق
الليل قنديل مثقوب
لو استمر في التوغل يا حبيبتي
لو استمر
سوف يبلعني جنون أبدي

* * *

ملوية الآن يبيع جداوله للبحر
أيتها السيدة الجميلة :
« ان الاطلس سلسلة جبلية تنتصب في قلب الوطن كالامعاء ، وكل صخرة ذاكرة مشروخة ... وجغرافية الوطن لن تكفي للدلالة على اغتصابك ووحدك تنشقين رموشك الاسمنتية في وجه الاعداء
ان لجوعك لعنة لا أقسى منها ،
لا تجوعي ... لا تجوعي »
الانهار تقفز من مجراها
تتوزع بين الرغبة في الاسترخاء على الشواطىء الرملية
وشحها التاريخي
ان العارس الشامخ الانف ينزف دما يمسك بجرحه
« الالم الذي لا يدل عليك حرام »
أنت مدعوة لفك اساره المزمن
أنت مدعوة لملحمة الخلق الخالدة

« ما جرى للاميرة الاطلسية مع الفارس الشامخ الانف »

هل كان الفارس اذ يوقد نارا بين ثنايا الثلج
يعانق حلما باعاده ترتيب الاشياء
وتكسير القيد المفروس بقدم الاميرة
أم كان يغذي رغبته في التحول نهرا يجري للفسح
ويقرأ في صفحات اللهب القاني
أخبار أميرته المغتالة
القوافل تزحف عبر ممرات الجبل
ووحدها النار تكسر الثلج الليلي
والفارس يتداخل في وبر عباءته
يفتت اللحظة حتى لتغدو زمنا يحبل بالمستحيل
يتذكر استدارة القمر الصيفي
وايقاع الدف على مشارف الغابة
وقوله للاميرة المختالة :
بيني وبينك جهل العشيرة
وتوهج الاطلس تاريخا من السطو والفتح
هل تقبلين تراكم البواخر عند موانىء المدن ؟
واجتثاث الشواطىء من ناصية الوطن
اغرسي رموشك في جذوع الاشجار السامة
انهم يحفرون السفوح
يجب أن تمتد فاماتنا
حتى تصبح ضربة في التربة
ضربة في الساعد
ومشروع اغتيال متجدد
يتذكر الفارس استدارة القمر الصيفي

ايتها السيدة الجميلة :
« ان امتدادك حتى تلافيف
عمامة ريفية وحتى شساعة
كثبان الرمل الجنوبية وحتى
خضرة المثام الملفوفة في قميص
يوسف المهرب : هو المراهنة
التي تتخذ الآن حجم القضية »
مرت حوافر الخيل على أصابع الاميرة
تطايرت اشلاؤها
بكل شبر قطرة دم
ويد مغروسة كغصن صبار
واللهيب المتصاعد من رئة الفارس
المحاصر
يرقص على وقع عاصفة ترابية
« وحيد من لم يتنام كشجرة برية
من لم يراهن على تحوله نهرا
يجري للسفح »
وقال الفارس :
يا أيتها النار انطفئي
وتصاعد أيها الثلج
تصاعدي أيتها الحجارة الحبلى
ان حبا لا ينتهي بالتوزع على كل أجزاء
الوطن
لا يريق دم العاشق المرتاب
ليس سوى انعكاس باهت لتراكم ميت

« وفي هذه الاثناء انهالت على
السهول والجبال والشواطىء
اكوام من القبعات والبذلات
الرمادية والعيون الكهربائية
وسيقت جماهير غفيرة الى
الآبار الباردة وتقازمت الهامات
حتى احتكت بالاحذية .
واختفى الفارس وانفلتت
ضفيرة الاميرة من الاصابع
المعروقة وولد العرّاف »

مرحبا يا زمن التقوقع والميلاد
الاخرس
النار لم تشتعل من حطب
والخبز لم يأت من سنبلة
والقلب جهاز لتصفية الفاجعة
تراقصي يا أذرعا تتقي الرصاص
بالجوع
والقتل بالانتحار
احمل اليكم همّ المدينة / العين
المغمضة على القذى
أحمل لكم تراكم الاشياء التي لم تعط
بعد الكيف
أحمل الصور التي تصيبكم بالرعب

الصورة الاولى :

يجلسون فوق قائمة المطلوبين للسيف

« الاحصائيات تقول :
ان ٧٠ ٪ من السجناء
السياسيين مواطنون بسطاء :
عمال فلاحون عاطلون
وان اعمارهم تتراوح بين
١٨ و ٨٠ سنة
وان ٦٥ ٪ من الاحكام هي
فوق الخمس سنين نافذة
وان ٢٥ ٪ من المواطنين
يعدمون يوميا (تدخل في هذه
النسبة الاعدامات غير المباشرة
وان على رأس كل سنة يبرز
من يفتال احد الشرفاء العصاة
وأخيرا ان أغلب السجناء لم
يدخلوا السجن بعد وأغلب
الشهداء لم يقتلوا بعد)

مرحبا يا زمن البوح بأسرار الاميرة
ـ تعقد اجتماعا مع العصافير
وحيتان الانهار
تكتب فوق جذوع الاشجار
تتعرى لحبيب واحد
معتم موشوم ملتح
يعشق الافراس والبارود
وزغاريد النساء
ـ تأكل من أين ؟
ـ من جوع الفقراء وبطش القتلة
تتلوى حينا من الم يشبه تشريح
الجسد اليابس
وتسترخي أحيانا كالجثة ترسل
بسمتها لاعالي الاشجار

الصورة الثانية :

يمتطي هذه الارض الصبورة
قرد بلا روح ولا رجولة
ينهار عند مطلع الفجر
يبكي شهوته
يستعطف الصلب والترائب :
أما من نطفة ولو لانجاب دودة ضريرة؟

الصورة الثالثة :

مصطفين طوابير من اللعنة والتربص
ـ كان الامر سهلا
ـ لم نفقد شيئا
التكشيرة تتسع من المحيط للخليج
أحمل اليكم همّ المدينة / العين
المغمضة على القذى
أحمل اليكم همّ الاطلسية التي
تجمع أشلاءها
احمل اليكم ....
(يستحسن أن يقهقه العراف طويلا .
فالامر في النهاية لا يحتمل النحيب
التاريخي ...)
ابتسمي حتى تتشقق جدران المدن
وحتى ترتعش جذور الاشياء
ان المعركة ليست طويلة فحسب
انها لا نهائية